

اللغة العربية في الجزائر بين الأمن الهوياتي والتهجين الثقافي

The Arabic language in Algeria
between the identity security and cultural hybridizationأ. محيّدات سلمى¹

جامعة سطيف

selma.mehimdat@gmail.com

تاريخ الوصول 2021/04/03 القبول 2022/02/06 النشر على الخط 2022/06/05

Received 03/04/2021 Accepted 06/02/2022 Published online 05/06/2022

ملخص:

يقال أن "اللغة مرآة الشعب" فهي جزء غير منفصل عن كيان المجتمع، بازدهارها تزدهر الحياة العقلية للمجتمع الناطق بها علما، وأدبا، وفنا. وكلما ضعفت اللغة ضعف هذا المجتمع وتراجع، وفي بحثنا هذا سنحاول التعرف على واقع اللغة العربية في المجتمع الجزائري في ظل عمليات التهجين الثقافي ومدى انعكاسات ذلك على هوية هذا المجتمع. منطلقين في ذلك من أهمية المكانة التي تتبوّؤها اللغة العربية كأحد أهم مقومات الثقافة الجزائرية وركيزة أساسية للحفاظ على القيم العامة لهذا المجتمع وكأداة للارتقاء العلمي والأدبي له، وكذا حمايته من التهديدات الثقافية الخارجية، التي ولدتها وتولدها متغيرات لغوية متعددة تاريخيا أو في وقتنا الحاضر، فنجد اللغة الفرنسية كوسيلة تعبير تاريخية نافست ولا زالت تنافس اللغة العربية خاصة في الأوساط السياسية والأكاديمية وأثر ذلك على الحياة العامة، والانجليزية كلغة عالمية حديثة تتماشى مع متغيرات ومتطلبات العصر العلمية والتكنولوجية والأمازيغية كلغة تعبر عن الأصول البربرية للفرد الجزائري بالإضافة إلى تعدد اللهجات المحلية من منطقة إلى أخرى.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية، الهوية، الثقافة، الأمن الهوياتي، التهجين الثقافي

Abstract:

It is said that "language is the mirror of the people", as it is an inseparable part of the entity of society. So in this article we aims to get to know the reality of the Arabic language in the Algerian society in light of the processes of cultural hybridization and the extent of its repercussions on the identity of this society. on the basis that the Arabic language is one of the most important components of Algerian culture and a fundamental pillar for preserving the general values of this society. as well as protecting it from external cultural threats, which have been produced by multiple linguistic variables historically or at the present time, Which created a group of languages that compete with the Arabic language in the Algerian tongue, such as the French language, the English language, Berber and the various local dialects.

Key words: language, Arabic language, identity, culture, identity security, cultural hybridization.

¹ المؤلف المراسل: سلمى محيّدات البريد الإلكتروني: selma.mehimdat@gmail.com

1. مقدمة:

لا شك أن تكون الهوية عند الأمم والمجتمعات لا تتم في زمن قصير، وإنما هي نتاج وحاصل حقبة زمنية طويلة تتمازج فيها عناصر ثقافية كثيرة، تتعرض خلالها لعمليات متكررة من التخميص والغلبة حتى لا يبقى منها إلا العناصر الرئيسية التي تعبر عن المشترك الثقافي بين مجموع أفراد المجتمع الواحد أو الأمة الواحدة، ولعل أكبر ما يشكل الأمم بل ويعد الأصل الثقافي لهويتها هو "اللغة"، فثقافة أي أمة أو جماعة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بنمط لغتها، ومن هذا المنطلق تعد اللغة العربية سمة ثقافية تعبر عن ذات الأمة العربية الإسلامية وهويتها من خلال فهمها الخاص وممارستها المتميزة للثقافة من إنتاج وتلقي وحفظ للمعارف والعلوم والتراث والقيم... ولعلنا قد أضفنا العنصر الثقافي المتمثل في الدين الإسلامي للتعريف بهذه الأمة كونه العنصر الثقافي الذي أمد اللغة العربية الأهمية والمكانة التي تحتلها كبعد هوياتي يعبر عن مجتمعات بعينها ولعل أبرزها مجتمعات المغرب الكبير بشكل عام والجزائر بشكل خاص حيث ظلت هذه المجتمعات من حيث موقعها الجغرافي وتاريخها الممتد إلى الأزمنة الغابرة ذات صلة مضطربة بالآخر الأجنبي وبدرجات متفاوتة والتي ولدت مجموعة من المتغيرات، فقد ارتبطت تاريخياً بأقوى الأمم والحضارات كحضارة الفينيقيين والإغريق والرومان والوندال والمصريين. حتى مجيء الفتح الإسلامي واعتناق هذا المجتمع للدين الإسلامي ومن ثم تبني اللغة العربية كلغة ركيزة تعبر عن كينونة هذا المجتمع كلغة للتخاطب والحضارة، كلغة للإفصاح عن المشاعر والأفكار، كلغة للإنتاج الأدبي والعلمي وظلت كذلك حتى في ظل تعرض المجتمع الجزائري بعدها للسيطرة التركية أولاً، ثم الاستعمار الفرنسي ثانياً ويستمر هذا التحدي اللغوي وآخرها تبني العالم للغة الإنجليزية كلغة عالمية في ظل ما يعرف بمجتمع العولمة مما خلق لسان جزائري هجين تدمج فيه مفردات متعددة من لغات مختلفة وينسب متفاوتة، ومن خلال مقالنا هذا سنحاول التطرق إلى واقع اللغة العربية في المجتمع الجزائري باعتبارها مقوم أساسي لهويته الثقافية وعنصر فاعل في تحقيق أمنه الهوياتي خاصة في ظل التهجين الثقافي اللغوي الممارس على أغلب شرائح المجتمع من خلال الاحتكاك والتواصل مع الآخر اللغوي مثلما حدث ويحدث سواء بالطريقة المباشرة للاستعمار التقليدي في السابق أو في وقتنا الراهن بالطريقة الإغرائية المنتهجة منذ مطلع تسعينات القرن الماضي والتي يزداد تأثيرها كلما تطورت وسائل الإعلام والاتصال في ظل العولمة الإعلامية والثقافية.

2. الإطار المفاهيمي للدراسة

1.2 في مفهوم اللغة والثقافة:

يرى "مالينوفسكي" أن اللغة هي المدخل إلى الثقافة وبأنها تمثل أهم مظاهرها. يرى الباحث الفرنسي "جورج كراي" بأن اللغة من حيث كونها لسان "هي ظاهرة اجتماعية شاملة تعبر عن الروابط الموجودة بين الأفراد وعن العالم الذي تنسب إليه خبرتهم، ذلك العالم الممثل بواسطة الرموز اللغوية والذي أطلق عليه اسم ثقافة أو حضارة.

ويضيف "كراي" بأن اللغة هي العامل الأمثل للانسجام والتعاون المثاليين. وكما يقول الفيلسوف الألماني "فيخته" في كتابه "نداء إلى الأمة الألمانية: "إن اللغة هي رمز وجود الأمة وبقدر أصالة اللغة والحفاظ على اللغة الأصيلة أو فقدانها تكون المجموعة البشرية أمة أو شعباً أصيلاً أو مجرد أشتات فحسب، كما يضيف بأن "لغة أمة من الأمم هي قوتها الطبيعي"¹.

¹ - البشير ريوح، السؤال عن الهوية " في التأسيس والنقد والمستقبل"، منشورات ضفاف، لبنان، 2016، ص136.

وإذا ما نظرنا إلى التاريخ نلاحظ أن تكون الأمم الحديثة في أوروبا رافقه في كل مرة تبلور لغة وطنية، ففي عصر النهضة الذي تعود إليه البدايات الأولى للشعور القومي الإيطالي دعا "دانتي أليجيري" وآخرون إلى رفع العامية إلى مصاف اللغة الوطنية. وفي ألمانيا أدى انفصال "مارتن لوتر" عن كنيسة روما في القرن السادس عشر إلى ترجمة الإنجيل للمرة الأولى من اللاتينية إلى اللغة الألمانية. فوجود اللغة الوطنية في العصر الحديث علامة من علامات تشكل الأمة سياسياً في إطار دولة تجسدها. ولكن رغم ذلك فإن هذا لا يعني أن مبدأ "لغة واحدة دولة واحدة" يمثل القاعدة في كل الظروف، فكما توجد شعوب تتحدث لغة واحدة تنقسمها دول عديدة، فكذلك توجد دول تتواجد فيها أكثر من لغة، رغم أن هذه الحالة عادة ما توجد معها مشاكل وتوترات وقد يصل الحد إلى الانفصال مثل ما حدث في جزيرة هايتي الكبرى عام 1844، التي كانت تسودها لغتين الفرنسية والإسبانية فتم الانقسام بناء على الخلفية اللغوية¹.

2.2 في مفهومي الهوية والأمن الهوياتي:

ويعرف المفكر الفرنسي أليكس ميكشيلي الهوية بأنها: "منظومة متكاملة من المعطيات المادية والنفسية والمعنوية والاجتماعية تنطوي على نسق من عمليات التكامل المعرفي وتتميز بوحدها التي تتجسد في الروح الداخلية التي تنطوي على خاصية الإحساس بالهوية والشعور بها، فالهوية هي وحدة من المشاعر الداخلية التي تتمثل في الشعور بالاستمرارية والتميز والديمومة والجهد المركزي، وهذا يعني أن الهوية وحدة من العناصر المادية والنفسية المتكاملة التي تجعل الشخص يتميز مما سواه ويشعر بوحده الذاتية"². ويؤكد أن كل هوية تسعى للتحقق وتأكيد الوجود، والهوية المتكاملة هي الهوية التي تمتلك قدرات كبيرة وتشتمل على فعاليات مرونة غنية متكاملة مسجلة في أسسها ونواتها، وعلى خلاف ذلك فإن الهويات المفككة تتصف بالصلابة والقصور. ولكي يتاح للأفراد والجماعات والثقافات الوصول إلى هوية ناضجة متكاملة يتوجب عليها من هذه الزاوية التخلي عن سيرورات الدفاع أو الهجوم وتبني سلوك يقوم على مبدأ الحوار أي يتوجب خلق الشروط التي تسمح لتأسيس الهوية البنائية بالتطور لديهم³. فمن خلال ذلك تصل المجتمعات إلى تحقيق ما يعرف بالأمن الهوياتي الذي يشير إلى مدى قدرة الأمة على حماية قيمها الداخلية من التهديدات الخارجية ليتجاوز بذلك الاعتبارات العسكرية والتراية والإقليمية ليصبح شاملاً متعدد الأبعاد واقرب إلى الحياة الاجتماعية بقيامه على أساس بقاء الأفراد والجماعات والأهم من ذلك كله الحفاظ على هويتهم وخصوصيتهم التي تميزهم عن غيرهم، وقد ذاع صيت هذا المفهوم منذ ستينات القرن العشرين وتم اعتماده للدلالة على تأمين هوية المجتمع من كل ما من شأنه تهديدها ومن ثم قدرة المجتمع على الحفاظ على نماذجه التقليدية من لغة وثقافة وعادات... حيث يعد الأمن الهوياتي أحد ركائز النهضة الاجتماعية وأعلى

¹ - نفس المرجع، ص 138.

² - أحمد بعلبكي وآخرون، الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2013، ص 158.

³ - أليكس ميكشيلي، الهوية، ترجمة علي وطفة، دار وسيم للخدمات الطباعة، سوريا، 1993، ص 170.

مظاهر استرداد الهوية التي سعت القوى الخارجية إلى محوها وطمسها، ويقوم على أساسين هما الاعتزاز بالذات الثقافية والحضارية والدفاع عن كينونتها الاجتماعية والتاريخية وكذا الانفتاح والحوار مع الثقافات الأخرى.¹

وفي وقتنا الحاضر يسعى خطاب الهوية في انفتاحاته المختلفة إلى استعادة التوازن المفقود بين لحظة الفرد الممكنة ولحظة الجماعة الدائمة. وهي التعاقدية العسيرة التي افتقدتها المجتمعات المعاصرة في ظل التوجه الليبرالي، بحيث فشلت في المحافظة على المقومات الجماعية والمدنية بل وأيضا في تحقيق الحرية الفردية المسئولة.²

3.2 مفهوم التهجين الثقافي:

ظل التهجين لفترة فكرة بارزة في الدراسات الثقافية، وهو يتبع أفكار أقدم عن التوفيق بين المعتقدات في الأنثروبولوجيا والتوليد في اللغويات، ويشير التهجين في الدراسات الثقافية إلى سجل عريض من تعدد الهوية والتقاطعات والمزج اللغوي والخبرات والأساليب التي تلائم عالم المهجرة المتزايدة وحياة الشتات والبيّن "ما بين" ثقافي الكثيف، والتعددية الثقافية الحياتية اليومية وتلاشي الحدود، وبمنظرة متفائلة للتهجين كان يتم تصويره كمثلين في صدام الحضارات. ولقد انتقد التهجين على أساس هذا الطرح واعتبر فكرا تابعا لا يكتسب معنى إلا في فرضية النقاء، علاوة على هذا اعتبر بأنه زائف وبلا جذور وللنخبة فقط.³

ويمكن تمييز نوعين من التهجين الأول قديم ويمثل أشكال ثقافية ومؤسسية قائمة تمثل تركيبات عابرة للمحلية وعبر ثقافية، تبرز ديناميكيتها في التجارة والغزو وأشكال من الاتصال، يعتمد في تحليله على التاريخ، ويكون الهدف منه هو الخبرة والوعي الذاتي، بحيث غالبا ما يكون هناك وعي بهذا النوع من التهجين. أما النوع الثاني فهو جديد يمثل تركيبات جديدة ومستحدثة من الأشكال الثقافية أو المؤسسية، تبرز ديناميكيتها في المهجرة والتجارة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات مما يؤدي إلى تعددية ثقافية وعمولة وبالتالي يكون نموذج تحليله في إطار الأحداث الجديدة.

فلو كان التهجين كعملية قديم قدم التاريخ فإن وتيرة المزج تتسارع ويتسع مداها في أعقاب التغيرات البنيوية الكبرى، مثل التكنولوجيا الجديدة التي تنتج مراحل جديدة من الاتصال بين ثقافي، والعمولة المتسارعة المعاصرة هي هذه المرحلة الجديدة. والحقل الرئيسي للامتزاجات التي تبزغ حديثا هو الطبقات الوسطى الجديدة وممارستها الثقافية والاجتماعية التي تظهر في سياق المهجرة والشتات والأحداث الجديدة للأسواق الناشئة لما يقرب من عقدين ظلت معدلات نمو اقتصاديات النمر الآسيوية والأسواق الأخرى ضعفي ارتفاع معدلات نمو الدول الغربية. يستتبع هذا تطبيقات هائلة للتكنولوجيات الجديدة، وظهور عادات اجتماعية، وأنماط استهلاكية جديدة حيث يعبر عن اندماج مثالي للثقافات يجمع بين التكنولوجيات الجديدة وممارسات اجتماعية وقيم ثقافية قائمة.⁴

3. مكانة اللغة العربية كأساس للأمن الهوياتي الجزائري

¹ - إيمان بن محمد، الانقسام اللغوي والأمن الهوياتي في الجزائر، مجلة الفكر المتوسطي للبحوث والدراسات في حوار الديانات والحضارات، المجلد 8، العدد 01، جامعة تلمسان، الجزائر، 2019، ص243.

² - البشير ربح، مرجع سبق ذكره، ص38.

³ - جان ندرفين بيترس، العمولة والثقافة المزيج الكوني، ترجمة خالد كسروي، المركز القومي للترجمة، مصر، 2015، ص138.

⁴ - نفس المرجع، ص140.

تعد اللغة العربية أهم مقومات الثقافة العربية والإسلامية كما تعتبر أكثر اللغات الإنسانية ارتباطا بعقيدة الأمة، وهويتها وشخصيتها لذلك صمدت لأكثر من سبعة عشر قرنا سجلا أميناً لحضارة أمتها وازدهارها وشاهداً على إبداع علماءها وفلاسفتها الموسوعيون وهم يقودون ركب الحضارة التي سادت الأرض لعدة قرون.

كما اتسمت بسمات متعددة في حروفها ومفرداتها وإعرابها ودقة تعبيرها وإيجازها ولعل هذه السمات ما جعلت المفكر والمؤرخ الفرنسي "أرنست رينان" يقول فيها: ((من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القومية، وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحاري، عند أمة الرُّحْل، تلك اللغة التي فاقت أحوالها بكثرة مفرداتها، ورقة معانيها، وحسن نظم مبانيها)).

أما الأمريكي "وليام ورل" فيقول: ((إن اللغة العربية من اللين والمرونة ما يمكنها من التكيف وفق مقتضيات هذا العصر، وهي لم تتقهقر فيما مضى أمام أي لغة من اللغات التي احتكت بها، وستحافظ على كيانها في المستقبل، كما حافظت عليه في الماضي)).¹

ومن ثم كان لتعلم اللغة العربية من حيث هي الوسيلة التي لا غنى عنها في صياغة وجدان المواطن، وبناء فكره وترقية مشاعره وصقل ذوقه، ومن حيث هي الوسيلة لنشأة المعرفة التي تربط المواطن بجذوره وبعبوره، ومن حيث هي الغاية لأنها أساس الفكر أو هي الفكر بعينه، ومحال أن يتغير هذا بغير تلك كما يقول نجيب محفوظ وتعليمها لا يعني جعل الناس يتقنون الكلام بها فحسب، وإنما يعني ترقيتها وترقية شعور المتعلمين بها، وزيادة وعيهم حول أهمية المحافظة عليها وتقوية نبض الحياة في أساليب تعليمها بحيث يجعل أفرادها لا يختلف تعبيرهم عن تفكيرهم ولا ينفصل سلوكهم اللغوي عن سلوكهم العقلي، لأن اللغة وقتها لا تصبح أداة للتعبير فحسب، وإنما طريقة للتفكير كذلك.²

ونظرا لأهمية اللغة ودورها في التأسيس لهوية أي مجتمع نجد أن كل محاولات الاستعمار التقليدي الذي ارتبط بمختلف البلاد العربية سعى من أجل القضاء على الهوية العربية الإسلامية وطمسها من خلال ضرب مقومها الأساسيين اللغة العربية والإسلام منذ أوائل القرن التاسع عشر، مستعملا في ذلك أساليب شتى ووسائل مختلفة لتغريب هذه الشعوب فكريا وثقافيا ودينيا ولغويا، مستغلا في ذلك التخلف الذي كانت تعانيه الشعوب آنذاك في البلاد العربية في مقابل حداثة غربية ذات قيم راقية ومبهرة ومنتجات فكرية وعلمية وتكنولوجية براقية. مما فتح المجال أمام إمكانية الهيمنة والسيطرة على هذه المجتمعات ونهب ثرواتها المختلفة، ويستمر هذا الصراع إلى وقتنا الحالي ضمن ما يعرف بالاستعمار الجديد أو العولمة والذي يعبر عنه وقوف اللغة العربية باعتبارها مقوما أساسيا في الهوية العربية الإسلامية وبما تملكه من خصوصية ثقافية ودينية وتاريخية في وجه مطالب العولمة وأهدافها وتحدي ما حققته وتحققه في الواقع والحياة، فهي لم تقف عند الهيمنة الاقتصادية والسياسية والعسكرية بل تعدت ذلك إلى ممارسة الهيمنة الثقافية واللغوية بحيث تفرض لغة كونية في التعليم والإعلام والإدارة والاقتصاد وسائر قطاعات الحياة من دون اعتبار للتعدد والتنوع في الألسن.

وبذلك تزداد أهمية الدور الذي تلعبه اللغة العربية في إحداث الأمن الهوياتي من خلال السعي إلى تحقيق مشاركة إيجابية في الحراك الحضاري والثقافي الكوني الراهن على سبيل الندية، وتستهدف التوازن والانسجام الفعال والإيجابي مع التحولات الراهنة والتحديات

¹ - محمد ضياء الدين خليل إبراهيم، اللغة العربية والتحديات المعاصرة، مجلة الذاكرة، العدد 09، الجزائر، 2017، ص318.

² - عبد القادر فضيل، اللغة ومعركة الهوية في الجزائر، دار النور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص191.

التي تفرضها العولمة وما أكثرها¹. فمما لا شك فيه أن المضامين اللغوية لأي لغة تفرض نفسها على أنماط التفكير والتوجهات العقلانية للأفراد الناطقين بها، وهذا هو حال العربية بالتأكيد.

4. واقع التهجين اللغوي في الجزائر وانعكاساته على الأمن الهوياتي

يشير التاريخ الجزائري إلى مدى تفتن الاستعمار الفرنسي منذ وطأت أقدامه التراب الجزائري إلى مكانة اللغة وأهميتها في استلاب هوية شعبه، ومثلما عمل على نشر قواته للسيطرة على مختلف مناطق البلاد فإنه حرص كذلك على محاربة العربية في عقر دارها من جهة ونشر لغته من جهة ثانية. فقد اقتنعت السلطات المستعمرة أن هيمنتها من خلال القوة العسكرية غير كافية وإن ذلك يستلزم نشر لغاتها. وهي السياسة التي انتهجتها منذ السنوات الأولى لاحتلالها للجزائر².

وبالتالي فالمكانة التي كانت تبوؤها اللغة العربية والإقبال الكبير التي كانت تحظى به قبل فترة الاستعمار الفرنسي باعتبارها اللغة التي تعبر عن الشخصية الجزائرية المسلمة وأنها الأداة الوحيدة المشروعة والأصيلة، قد تغيرت أثناء فترة الاستعمار الفرنسي حتى جلأته عام 1962 م وذلك بظهور لغة مفروضة ومنافسة لها ألا وهي اللغة الفرنسية، فحضور اللغتين قد اوجد تذبذبا في الاتجاه نحوهما، وتجسد في الانقسامات اللغوية التي ظهرت غداة الاستقلال³.

كما اختلفت السياسة المطبقة على النظام الثقافي في الجزائر وخاصة منها سياسة التعريب التي مثلت بالنسبة للرئيس "هواري بومدين" هدفا استراتيجيا يطمح من ورائه إلى التخلص من التبعية الثقافية واللغوية، وهو بالنسبة إليه الوسيلة الوحيدة للقضاء على رواسب الماضي التي تركها الاستعمار الفرنسي⁴.

غير أن هذا التحدي كان صعبا نظرا لاختلاف المواقف والتصورات إزاء اللغة وما زاد من صعوبة التحدي في وقتنا الحالي هو بروز اللغة الانجليزية فاعتبارها لغة عالمية تطمح إلى أن تتوطن ضمن منظومة الشباب الثقافية بشكل خاص بالإضافة إلى أثر اللهجات المحلية على لغة الفرد الجزائري وبناء عليه يمكن أن نميز عدة تفاعلات لغوية أبرزها :

- الاتجاه البربري: ويمثلهم المتخصصين في اللغة والثقافة البربرية وجلهم من أصل قبائليون، وهؤلاء يطالبون كرد فعل ضد السياسة المركزية التوحيدية للسلطة الحاكمة إعادة الاعتبار للهجات البربرية والاعتراف بحقوقها وكذا الاعتراف بالخصوصية الثقافية البربرية وقد يذهب بهم ذلك إلى رفض العربية والعروبة.

- الاتجاه الفرونكوفوني: وغالبا ما يعتنقون بـ "حزب فرنسا" ورغم قلة تأثيرهم على الجماهير إلا أنهم مع ذلك لا يزالون يلعبون دورا في تسيير دواليب الحياة الاقتصادية، أما مرافعتهم من أجل الازدواجية اللغوية التي تخفي في الواقع وإن بشكل سيئ رغبتهم في الإبقاء اللغة الفرنسية في المنزل المهيمنة. في الوقت الذي يتم تداول اللغة الفرنسية بشكل واسع في الإدارات العمومية والهيئات الحكومية، لسيطرة الجيل القديم- الجيل الذي تعلم في عهد الاحتلال الفرنسي -على المناصب الحساسة في الدولة وهيئاتها يتبعه إعادة إنتاج نفس ذوي الرؤية، كما تستخدم اللغة الفرنسية في بعض الدوائر كالتعامل في مجال الطب والهندسة المعمارية... ورغم

¹ - البشير ريوح، مرجع سبق ذكره، ص 160.

² - إيمان بن محمد، مرجع سبق ذكره، ص 243.

³ - نوال حمادوش، السلوك اللغوي والهوياتي في المجتمعات المغاربية، دار الأيام للنشر والتوزيع، الأردن، 2015، ص 227.

⁴ - سليمان الرياشي وآخرون، الأزمة الجزائرية "الخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية"، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 1996، ص 110.

أن المدرسة الجزائرية قد تعربت إلا أن استخدام اللغة الفرنسية لا يزال يؤخذ به على نطاق واسع في مختلف مجالات ونواحي الحياة اليومية للفرد الجزائري حيث هناك اتجاه سائد في الشارع الجزائري يفيد أن الطبقة التي تتحدث باللغة الفرنسية هي الطبقة الأكثر تحظرا وذات حظوة اجتماعية وهذا راجع إلى إن "اللغة العربية في منطقة المغرب العربي بصفة عامة قد وقعت ضحية لخطط تعاقبت على امتداد زمني متصل استهدفت تغيير الخرائط اللغوية والثقافية بالمنطقة. ففي سياق التجاذب السياسي الحاد الذي استمر عقودا، بين المؤيدين والمعارضين لهذه الخطط، حدث اضطراب شديد للغاية في مسار الخطط والمشاريع المتعلقة بالمجال التعليمي بكل مكوناته وأبعاده ومستوياته¹.

لكن بشكل عام نجد أن هناك شرائح واسعة من طلاب الجامعة خاصة في المجال التقني لا تزال تتابع دراساتها باللغة الفرنسية. والتعليم باللغات الأجنبية ما زال يثير نوعا من الحوار والجدل لدى المفكرين والساسة والمربين. فهناك شريحة واسعة من المفكرين الذين ينادون بتعريب التعليم الجامعي والعالي. لكن النخب التكنوقراطية الفرنسية والتي تتواجد فعليا في القطاعات الاجتماعية الحديثة يعلنون عن أهمية التعريب، ولكنهم في الوقت نفسه يؤكدون الأهمية القصوى للغة الفرنسية من أجل تحديث المجتمع وتطويره².

- الاتجاه المعرب (العربي): وهي الدائرة الأكبر من حيث العدد وانتشارها الجغرافي، وقد كان التعلق باللغة العربية ثمرة عدد من الظواهر التاريخية تضافرت فيها الحركات الاجتماعية والإبداعية الفنية والدين والمفهوم الحديث للأمة، وهذا المنطق يفسر لنا ما يجري في الجزائر أيضا في مستوى عملية بناء الهوية الوطنية، حيث قام الوطنيون، الذين وصلوا إلى السلطة في عام 1962، بتعزيز العربية ومحاولة القيام بعملية التعريب على نحو شامل، وقد أدى هذا التعريب إلى نتائج متعددة في مستوى بناء الهوية الوطنية، فكثير من الجزائريين لا يتماهون فقط بهويتهم الجزائرية أو العربية اليوم بل يتماهون بهويتهم الإسلامية. وهذا الأمر ينسحب على البربر من الجزائريين أيضا، كنتيجة طبيعية لعملية تعريب التعليم التي خضعوا لها في الجزائر المعربة التي تمثل صلب الشعور والمخيال الجماعيين، رغم ضعف أدائها في عالم الشغل والتكنولوجيا حيث تظل تابعة حيال تنافس اللغات الأجنبية³.

فعلى الرغم من أن الجزائر قد أنجزت مثل أغلب الدول العربية عملية تعريب واسعة للدراسات الإنسانية والآداب بصورة كاملة في مختلف المؤسسات التربوية والجامعية، أما التعليم التقني والفني فقد بقي باللغة الأجنبية حتى في المؤسسات الدينية العليا مثل جامعة الأزهر في مصر وفي جامعة المدينة المنورة وأم القرى⁴، باستثناء سوريا التي تمكنت من إنجاز تعريب شامل لمختلف التخصصات الأدبية والإنسانية والتقنية... الخ.

¹ - علي غربي، اللغة العربية من الثابت المتحرر إلى المتغير للتهميش، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، العدد 05، جامعة سكيكدة، الجزائر، 2010، ص56.

² - علي أسعد وطفة، هل اللغة العربية أصولية "رؤية نقدية في نظرية جيمس جوفمان، <https://altanweeri.net/?p=4919&fbclid> ، تاريخ النشر 24 -08- 2020، تاريخ الإطلاع 01 -08- 2020.

- خولة طالب الإبراهيمي، الجزائريون والمسألة اللغوية، ترجمة محمد يحياتن، دار الحكمة، ط2، الجزائر، 2013، ص 77-78.³

⁴ - علي أسعد وطفة، مرجع سبق ذكره،

- الاتجاه العولمي: إن التحول الكبير الذي حدث مع مطلع التسعينات من القرن الماضي والذي عبر عنه الكثيرون باختلاف مشاريعهم الفكرية ومواقفهم السياسية ونفوذهم الاقتصادي وتأثيرهم الثقافي بعصر العولمة عصر حمل معه تحولات وتغيرات كبيرة قفزت بالإنسانية برأي البعض إلى مراتب سامية من التطور والتقدم¹.... حيث ارتبطت في تكوينها وتطورها بالتحولات التي شهدتها العصر الحديث وعصرنا الراهن واستمدت مقولاتها من الفكر الليبرالي الغربي، ومن الديمقراطية والحرية في الحياة السياسية ومن مبادئ ونظم اقتصاد السوق ومن التطور الصناعي في مجالات الإعلام والاتصال والإشهار وازدهار الصناعة في جميع ميادين الحياة وخاصة الميادين الاقتصادية والتكنولوجية، في المقابل يراها البعض الآخر بأنها فترة من عدم اليقين والفوضى وتفكيك خصوصيات المجتمعات من سائر أشكال العلاقات والمعاملات وأنماط السلوك والعيش والحياة العامة من خلال تأكيدها على مراعاة التشابه بين الإنسان لتعميم النمط أو النموذج الواحد على شعوب العالم وعلى بلدانها وأنظمتها من منطلق انتهاج سياسة عالمية واحدة تضم كل بلدان العالم في كوكبة واحدة خاضعة لنظام واحد يسيطر عليه المركز بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية². وبالتالي بروز اتجاه عام يعتبر اللغة العربية غير كافية لمواكبة تطورات العصر وأن اللغة الانجليزية هي اللغة التي يجب تركز عليها من أجل تحقيق ذلك باعتبارها أكثر اللغات تطورا وتعبيرا عن العصر وما يتميز به وما يمتلكه من منتجات حيث استطاعت الدول الناطقة بالانجليزية الفاعلة في العولمة أن تحقق هيمنة هذه اللغة على اقتصاد وسياسة وثقافة شعوب العالم.

و يرى الأستاذ الدكتور "علي غربي" أن النموذج الجزائري حاليا يبدو تائها في تنميط أداة مشتركة للتخاطب والحديث والمعاملات اليومية، بحيث يستحيل نسبته لأية لغة، بقدر ما هو فسيفساء مشوهة وغير متجانسة من الكلمات تميز الجزائري العادي الذي يزداد اغترابا بابتعاده عن استعمال لغة نقية، بتداوله لمزيد من الكلمات الدخيلة كل يوم لتصبح اللغة اليومية لا هي عربية ولا هي فرنسية أو أمازيغية وإنما مزيج هائل مستمد من كل منها.

فلا شك أن المناخ الثقافي الحالي الذي يعيشه الشباب في ظل الانفتاح الهائل على كل ثقافات العالم دون تمحيص أو غربلة بكل ما تعرضه وسائل الاتصال الحديثة أدى إلى تمجيد لغة الشباب وتفكيكها، فالمعلوم أن لكل جيل لغته الخاصة التي تختلف عن الأجيال السابقة، حيث ينشئها ويمارسها في حياته اليومية، لكن لغة شباب اليوم تعرضت لاختراق عنيف من قبل وسائل الإعلام المختلفة التي استطاعت أن تحتزق ثقافة الشباب ولغته حيث أصبحت محل اقتباس وتقليد وتداول من طرف هذه الفئة في الوقت الذي فشلت فيه مؤسسات المجتمع المختلفة في صوغ نماذج لغوية إيجابية، كما فشل الإعلام الجزائري في صياغة لغة بديلة ترتقي بدوق الشباب. فلكل عصر لغته وطريقة التعبير عنه وعن احتياجاته، والتغير لا بد له أن يحدث، ولكن لجأ الشباب لهذه اللغة لأنه لم يجد البديل.

❖ أهم الأشكال التي تعبر عن مدى التهجين اللغوي في أوساط الشباب الجزائري:

¹ - عبد الرزاق أمقران، إستراتيجية التجديد الثقافي في المجتمعات العربية في ظل العولمة، أطروحة دكتوراه في علم اجتماع التنمية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2011، 175.

² - البشير روج، مرجع سبق ذكره، ص175.

من أهم الأشكال اللغوية التي تعبر بصورة مباشرة أو غير مباشرة على التأثير الذي مارسه التهجين اللغوي على لغة الشباب اليوم نجد أن الكثير من الشباب والشابات يستخدمون كلمات غريبة بشكل متكرر منها: شريك، الشكارة، حابس، الدول، العفسة، التفرعيج، بوبونة....

كما نجد ميل الشباب لاستخدام لغات مشفرة غير مفهومة للطرف الآخر بهدف التكنم عن الحديث الذي يجري بينهم كأصدقاء والملاحظ أن ذلك يتكرر كثيرا إذا كان الغرض منها سلبا كالسب والشتم أو التحرش مثل (صاروخ، قنبلة، ..)

- نلاحظ أن القاموس اللغوي للشباب يحوي على الكثير من المصطلحات المهجنة من اللغة الفرنسية أساسا مثل بيريمي، أكتيفي، نروبوها، ...

- تداول بعض العبارات المستوحاة من اللغة الإنجليزية مثل: هاي، باي، نديرو سيلفي، لوف يو، ميس يو، جووود، فرنز، سماجوال، أبوني، سابسكرايب....

- ميل الشباب لاستخدام حركات لها معاني ودلالات مستوحاة من اللغة الإلكترونية المستعمل في التواصل عبر المواقع الاجتماعية وتكون عادة باليد منها ما تعرف بحركة الهاي فاي وتدل على التحية أو الاتفاق في الرأي تستعمل من كلا الجنسين ، وأيضا حركة تلاقي قبضة الأيدي وتدل أيضا على التحية أو الاتفاق وتستعمل بكثرة من طرف الشباب الذكور. علامة القلب باليد وتستخدمها الفتيات تعبيرا عن الحب، حركة شاكا والتي تحمل معنى اتصل بي أو سنبقى على اتصال ، حركة رفع الإبهام وتدل على الإعجاب بالهيئة أو القول، كما توجد حركات مهينة.

❖ انعكاسات التهجين الثقافي على الأمن الهوياتي:

مما لا شك فيه أن للفترة الاستعمارية التي مرت بها مجتمعات العالم الثالث ومن بينها الجزائر نصيب الأسد في هذا الوضع حيث فرضت على شعوبها استخدام لغات الدول المستعمرة ولا يزال هذا الوضع سائد رغم حصول معظم هذا المجتمعات على استقلالها مما ترتب عن انعزال مجموعات كبيرة من السكان لغويا فضلا عن الاغتراب اللغوي الحالي الذي انتشر بسبب اعتماد وسائل الإعلام الدول النامية على اللغات الأجنبية في مقدمتها اللغة الإنجليزية وتجاهلها للغات الوطنية، حيث يشكل التهجين اللغوي نوعا من الاغتراب الثقافي الذي يؤثر سلبا على توافق الفرد مع محيطه وثقافته ولغته ويضع التهجين الفرد في عالمين متناقضين، حيث يستخدم لغته الأم ولغة الآخر المستعمر مهما كان نوع هذا المستعمر. والملاحظ للوضع اللغوي في الجزائر يدرك نتائج الهيمنة الثقافية الغربية على لغة الأفراد ويكفي أن نلقي بسمعنا في الجامعات والمدارس والأماكن العامة لنذكر مدى هيمنة اللغات الأجنبية على الممارسات اللغوية عند أفراد المجتمع¹.

لذلك كان تأثير التهجين الثقافي على اللغة العربية خطير وجسيم، ومن أخطرها الثنائية أو الثلاثية اللغوية في التعليم في جميع أطواره، وفي التكوين بكافة مجالاته، وسيطرة اللغات الأجنبية على رأسها اللغوية الفرنسية على المدارس والجامعات الذي سبب اختلالا كبيرا في البناء الاجتماعي ناهيك عن التأثير السلبي على التكوين العقلي والنفسي الناشئة فهو يؤدي في أغلب الحالات

¹ - محمد هاشمي، استعمال اللغة العربية في الجزائر "واقع وآفاق"، مجلة الصوتيات، المجلد 20، العدد 03، جامعة البليدة، الجزائر، 2018، ص06.

إلى نشأة جيلين إن لم تكون أجيالا من أبناء الوطن الواحد ولكل جيل انتماءه اللغوي والثقافي الخاص به فتتعدد الانتماءات اللغوية والثقافية وتهتز الروح الوطنية وتختل الهوية وتتمزق وحدة الأمة نتيجة للتهجين الذي يسعى إلى تنميط اللغة والثقافة دون أن يعير أدنى اهتمام لسنن الكون في الاختلاف والتنوع العرقي واللغوي والديني والثقافي وغيره، كما يتفق العديد من المفكرين أن التعليم والتكوين في أي مجتمع بغير لغة المجتمع يؤدي إلى مشكلات عديدة تزيد من تخلف المجتمع لغويا وحضاريا، ومنها إعاقه نمو الإبداع، والتبعية الفكرية وذوبان الذات التاريخية والثقافية والحضارية في غيرها، وجمود اللغة الأم وتحجرها فتعجز على مواكبة التطورات الحاصلة في الواقع والعصر، وصعوبة فهم الأحاسيس والمشاعر والتعبير عن الانفعالات وتدني مستوى التعليم في جميع أطواره في الابتدائي والمتوسط والثانوي وفي التعليم العالي، فصعوبة التحدث باللغة الفصحى مثل حال اللغة العربية في واقعنا وارتباط اللغات الأجنبية بالتطور العلمي والتكنولوجي مثل اللغة الإنجليزية حاليا وعجز اللغة الأم في تحقيق ما حققته اللغات الأخرى أدى إلى الخط من شائها والطعن في قيمتها وفي بينتها الهوية وينتهي ذلك بضعف الانتماء إلى الهوية لدى الفرد الجماعة¹.

5. الخاتمة

نستخلص من خلال ما سبق أن اللغة العربية ترتبط ارتباطا وثيقا بالهوية الجزائرية من خلال التأثير والتشكيل والتمثيل، حيث تعمل على إنتاج الهوية والحفاظ عليها ونقلها من جيل إلى آخر ومن وقت لآخر، وبالتالي تسعى إلى تحقيق الأمن الهوياتي داخل المجتمع، وبالمقابل تتأثر اللغة بالهوية فتضعف بضعفها وتندثر باندثارها ولعل هذا ما يعبر عنه الواقع اللغوي الجزائري من خلال التعدد لغوي نظرا للاحتكاك الثقافي التاريخي والحالي بالآخر مما أنتج لنا لغة هجينة لا تمتلك ثوابت تسمح بالمحافظة على أصالة وهوية المجتمع، بحيث يزيل هذا التهجين اللغوي كل إستراتيجية بناءة تطمح إلى الانخراط الإيجابي في الحاضر ويقضي على أية مشاركة فعالة وإيجابية في التاريخ الكوني، كما لا يسمح بإنجاز نهضة جادة وحقيقية².

6. قائمة المراجع:

- 1- أحمد بعلبكي وآخرون، الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2013.
- 2- إيمان بن محم، الانفصام اللغوي والأمن الهوياتي في الجزائر، مجلة الفكر المتوسطي للبحوث والدراسات في حوار الديانات والحضارات، المجلد 8، العدد 01، جامعة تلمسان، الجزائر، 2019.
- 3- أليكس ميكشيلي، الهوية، ترجمة علي وطفة، دار وسيم للخدمات الطباعة، سوريا، 1993.
- 4- البشير ريوخ، السؤال عن الهوية " في التأسيس والنقد والمستقبل"، منشورات ضفاف، لبنان، 2016.
- 5- جان ندرفين بيترس، العولمة والثقافة المزيح الكوني، ترجمة خالد كسروي، المركز القومي للترجمة، مصر، 2015.
- 6- محمد هاشمي، استعمال اللغة العربية في الجزائر "واقع وآفاق"، مجلة الصوتيات، المجلد 20، العدد 03، جامعة البليدة، الجزائر، 2018.
- 7- محمد ضياء الدين خليل إبراهيم، اللغة العربية والتحديات المعاصرة، مجلة الذاكرة، العدد 09، الجزائر، 2017.
- 8- نوال حمادوش، السلوك اللغوي والهوياتي في المجتمعات المغاربية، دار الأيام للنشر والتوزيع، الأردن، 2015.
- 9- سليمان الرياشي وآخرون، الأزمة الجزائرية "الخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية"، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 1996.

¹ - البشير ريوخ، مرجع سبق ذكره، ص 177.

² - البشير ريوخ، مرجع سبق ذكره، ص 177.

- 10- عبد الرزاق أمقران، إستراتيجية التجديد الثقافي في المجتمعات العربية في ظل العولمة، أطروحة دكتوراه في علم اجتماع التنمية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2011.
- 11- عبد القادر فضيل، اللغة ومعركة الهوية في الجزائر، دار النسر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- 12- علي أسعد وطفة، هل اللغة العربية أصولية "رؤية نقدية في نظرية جيمس جوفمان، <https://altanweeri.net/?p=4919&fbclid> ، تاريخ النشر 24-08-2020، تاريخ الإطلاع 01-08-2020.
- 13- علي غربي، اللغة العربية من الثابت المتحرر إلى المتغير للتهميش، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، العدد 05، جامعة سكيكدة، الجزائر، 2010.
- 14- خولة طالب الإبراهيمي، الجزائريون والمسألة اللغوية، ترجمة محمد يحياتن، دار الحكمة، ط2، الجزائر، 2013.